

علم النحو: أصله وأثره في اللغة العربية

Grammar: Its Origins and Impact on the Arabic Language

حاشي فائزة , جامعة الجلفة

تاريخ النشر: 2025/12/30

تاريخ القبول 28 / 12 / 2025

تاريخ الاستلام: 2025/12/01

ملخص:

يُعَدُّ علم النحو أحد الركائز الأساسية للغة العربية، إذ يهتم بدراسة القواعد التي تنظم تراكيب الجمل والكلمات، بما يضمن وضوح المعنى ودقة التعبير. يناقش هذا البحث نشأة علم النحو وتطوره عبر العصور، بدءًا من محاولات علماء اللغة الأوائل في تنظيم قواعد العربية، وصولًا إلى تأثيره العميق في فهم النصوص الأدبية والدينية واللغوية. كما يبرز البحث الدور المحوري للنحو في الحفاظ على سلامة اللغة العربية، وتمكين المتعلم من استخدام اللغة بشكل صحيح ومنهجي، مع الإشارة إلى أبرز الأبعاد العلمية والوظيفية لهذا العلم في الدراسات اللغوية الحديثة.

كلمات مفتاحية: علم النحو – اللغة العربية – قواعد النحو – تاريخ النحو – تأثير النحو – الدراسات اللغوية ;

Abstract:

Grammar is one of the fundamental pillars of the Arabic language, focusing on the rules that govern the structure of sentences and words, ensuring clarity of meaning and accuracy of expression. This study discusses the origins and development of grammar throughout history, from the early efforts of language scholars to systematize Arabic rules, to its profound influence on understanding literary, religious, and linguistic texts. The research also highlights the pivotal role of grammar in preserving the integrity of the Arabic language, enabling learners to use it correctly and methodically, while addressing its main scientific and functional dimensions in modern linguistic studies.

Keywords: Grammar – Arabic Language – Grammar Rules – History of Grammar – Impact of Grammar – Linguistic Studies

مقدمة

عرف النحو عند العديد من العلماء القدامى و المحدثين ,ومن أشهرهم قديماً "ابن جني" في كتابه الخصائص في باب القول في النحو بقوله : " النحو انتحاء سمث كلام الحرب في تصرفه من اعراب و غيره كالتشبيه والجمع والتحقير والتكسير, و الاضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وان لم يكن منهم ,وان شدد بعضهم عنها رد به اليها "فالنحو عنده هو مجموعة القواعد التي يجب أن يسير عليها من يريد تكلم اللغة العربية حتى يلحق بأهلها ويتقن التعبير وهي مرجع لكل من يلحن في اللغة العربية, ومن هنا نلاحظ أن تعريف ابن جني واسع ودقيق .

و يعرف الجرجاني بقوله : "هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الاعراب و البناء وغيرها ,وقيل النحو: علم بأصل يعرف بها صحة الكلام وفساده" .

يقصد الجرجاني بقوله هذا أن النحو يبحث فيه عن أحوال أواخر الكلم اعرابا و بناءا, لأن هذا المفهوم يدور حول الاعراب, أي ضبط أواخر الكلمات بعد معرفة مواقعها من الجملة, والنحو أواخر الكلمات فيه,

فهو يتسع ليشمل الاهتمام بالمعاني, ووظيفة الكلمات في اطار الجملة, والجمل في اطار العبارة يعرفه ابن عصفور بأنه: "العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة الى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها"

ويقول ابن حيان الأندلسي (ت750): "النحو علم بأحكام العربية أفراداً وتركيباً" فهنا نجد تعريفه شامل للنحو والصرف, فالصرف قسيم منه وليس قسيماً له وهذا ما جرى عليه سيبويه والمتقدمون فالأحكام الإفرادية هي موضوع الصرف, والأحكام التركيبية هي موضوع علم النحو¹.

¹ أبو حيان الأندلسي: غاية الإحسان في علم اللسان، تحقيق د. الحسيني محمد الحسيني القهوجي، ص 55.

وأول من عرّف النحو بشكل يجعله مستقل عن علم الصرف هو الأزهري (ت 905هـ) حيث قال علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم إعرابا وبناءً وموضوعه الكلمات العربية، لأنه يبحث فيه عن عوارضها الذاتية من حيث الإعراب والبناء، وغايته الاستعانة على فهم كلام الله تعالى ورسوله، وفائدته معرفة صواب الكلام من خطأه.¹

نجد هنا أن الأزهري ذكر أهمية هذا العلم ودوره في هذا كتاب الله، والتمييز بين الصحيح والخطأ. والملاحظ أيضا أن فصل بين النحو والصرف ويقول الفاكهي (ت 972): "النحو علم بأصول يعرف بها أحوال أواخر الكلم إعرابا وبناءاً".²

الملاحظ هنا أن تعريفات القدامى يتفقون على الجانب اللغوي بينما يتباينون من الجانب الاصطلاحي. فمنهم من مزج بين علمي النحو والصرف في تعريفه ومنهم من عرفه مستقلا.

فالنحو في اللغة عندهم هو القصد والاتجاه والطريق، أما في الاصطلاح فاختلفت. فذهب بعضهم إلى أن النحو هو انتحاء سمة كلام العرب في المفردات والمركبات، وذهب غيرهم على أنه علم يعرف به أحوال أبنية الكلم العربية أفرادا وتركيبا، ويرى آخرون أن النحو يطلق على الصرف. كما يطلق على الإعراب، فالخلاف عند القدامى في ماهية النحو: لا في غرضه.³

ونورد أيضا بعض تعريفات المحدثين للنحو يقول مصطفى الغلاييني: "الدال على النحو هو الإعراب، والإعراب هو النحو، ويقول: وهو ما يعرف اليوم بالنحو علم بأصول تعرف بها أحوال الكلمات العربية من حيث الإعراب والبناء أي: من حيث ما يعرض لها وفي حال تركيبها، فيه نعرف ما يجب عليه أن تكون آخر الكلمة من رفع، أو نصب، أو جر، أو جزم، أو لزوم حالة واحدة انتظامها في جملة ومعرفة ضرورية لكل من يزاول الكتابة والخطابة ومدارسه الأدب العربية".⁴

أما عباس حسن يقول: النحو كما وصفته من قبل دعامة العلوم العربية وقانونها الأعلى، منه تستمد العون، وتستلهم القصد، وترجع إليه في جليل مسائلها وفروع تشريعها، ولن تجد علما منها يستقل بنفسه عن النحو، أو يستغني عن معونته،

¹ خالد الأزهري: شرح التصريح على التوضيح، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت 2000، ص 12.

² الفاكهي: الحدود النحوية نقلا عن الإيضاح في علل النحو للزجاجي، تح د مازن المبارك، ط 3.

³ جلايلي أحمد: مقدمة لأصول النحو العربي، دار الحديث، القاهرة، 2013، ص 134.

⁴ مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، تح عبد المنعم خفاجة، ط 28، المكتبة العصرية، بيروت 1443، ج 1، ص 9.

أو يسير بغير نوره وهده هذه العلوم الثقيلة عن عظيم شأنها لا سبيل إلى استخلاص حقائقها والنفاذ إلى أسرارها، بغير هذا العلم.

ويقول أيضا: "إنه النحو وسيلة المستعرب، وسلاح اللغوي وعماد البلاغي وأداة المشرع والمجتهد والمدخل إلى العلوم العربية والإسلامية جميعها، فليس عجبا أن يصفه الأعلام السابقون بأنه: "ميزان العربية والقانون الذي تحكم به كل صورة من صورها.¹

ويعرف السامرائي قائلا: "هو علم يعني أول ما يعنى بالنظر في أواخر الكلم وما يعتريها من إعراب وبناء، كما يعني بأمور أخرى على جانب كبير من الأهمية كالذكر والحذف، والتقديم والتأخير، وتغيير بعض التغيرات غير أنه يولي العناية الأولى للأعراب، وهناك موضوعات ومسائل نحوية كثيرة لا تقل أهمية عن كل ما بحثه النحاة.²

أسباب نشأة النحو:

نطق العرب في الجاهلية وصدر الإسلام بلغتهم سليقة وسجية، ولم يكونوا في حاجة إلى قواعد يضبطون بها الألسنة أو يتعرفون بها الأساليب، بل كان عمادهم في ذلك المحاكاة المبنية على الفطرة السليمة، يشيب الناشئ منهم فتملأ عبارات الصحيحة سمعه ويطلع بها لسانه، فتجود قريحته بسليم التركيب ومنسج العبارات.

ولما اتسع ملك العرب وترامت أطرافه وازداد اختلاط العرب بغيرهم، ودخل الأعاجم تحت لواء المملكة الإسلامية، نشأ عن هذا ما هو معلوم من تفشي اللحن، فخشي القوم على اللغة ومن يغارون عليها، ففكروا في وضع قواعد تصون وتحفظ اللسان.

يعتبر أبو الأسود الدؤلي (ت 69 هـ) الرائد الأول في عملية التأسيس للنحو العربي، وهو أول من أسس العربية ونهج سبلها ووضع قياسها، وذلك حين اضطرب كلام العرب، وصار الناس يلحنون، فوضع باب الفاعل والمفعول به والمضاف وحروف

¹ عباس حسن: النحو الوافي، ط 3، دار المعارف، مصر، ج 1، ص 2/1.

² السامرائي فاضل صالح: معاني النحو، ط 1، دار الفكر، 2000 ج 1، ص 5.

النصب والرفع والجرّ والجزم¹، وتتفق روايات عديدة وكثيرة على أنه أول من ضبط المصحف الشريف بالعلامات الإعرابية للحفاظ على سلامة النص القرآني وتجنب اللحن في قراءته، فاهتدى إلى طريق عملية تجريبية، وباجتهاد شخصي ابتكر رموز "نقط" تدل على مختلف الحالات الإعرابية من رفع ونصب، وجرّ، يقول أبو الأسود الدؤلي لكاتبه: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة على أعلاه وإذا ضمنت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإذا كسرت فمي فجعل النقطة تحت الحرف فإذا ابتحت شيئاً من ذلك غنّ، فاجعل النقطة نقطتين، فابتدأ أبو الأسود يقرأ والكاتب ينقط حتى أتى نقط المصحف.²

واستمر الحال بالنسبة للحركات الإعرابية على ما هو إلى أن تظن الخليل بن أحمد الفراهيدي بحكم التجارب الصوتية التي كان يلجأ إليها لمعرفة طبيعة وخصائص الحروف العربية إلى أن الفتح والضم والكسر ما هي إلا نطق مخفف للحروف اللينة: الألف والواء والياء، واهتدى إلى وضع أسماء (مصطلحات) ورموز لهذه الحركات التي اعتبرها من جنس الحروف اللينة، فرمز لها بالألف الصغيرة المائلة توضع فوق الحرف، والضممة بواو صغيرة توضع فوق الحرف، وللکسرة بقص طرقي الياء توضع تحت الحرف، والملاحظ هنا أن تسميته هذه الرموز مأخوذة من تعبير أبي الأسود نفسه عندما كان يملل على كاتبه بقوله: إذا فتحت، تضمنت، كسرت.³

أولاً: المحافظة على القرآن الكريم:

يعد هذا السبب سبباً مباشراً لنشأة النحو العربي، فالعلوم العربية الأخرى في العصور الإسلامية الأولى، نشأت خدمة للقرآن الكريم، أو تفرعت عن نصوصه. وإذا كان القرآن بمثابة المركز الرئيسي والمعارف العربية مجتدة له، وكل العلوم العربية الخالصة محيطة به، لذا: فالنحو أعتبر أهم العلوم التي تخدمه، وتحافظ على نصوصه⁴، فلقد قدّر العرب صنيع القرآن لهم، وفضله عليهم، فتعنوا به، وحافظوا عليه، وخاصة على أداء نصوصه أداءً فصيحاً سليماً، إلى أبعد حدود الفصاحة والسلامة، حتى

¹ الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، دار المعارف، مصر، 1984 ص 21.

² أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، دار المعارف، مصر، 1984 ص 11/10.

³ عبد الكريم بن محمد: النحو العربي في مرحلة النشأة والبناء، كلية الآداب واللغات، جامعة برج بوعريج، ص 6.

⁴ انظر عون حسن: اللغة ونحو دراسات تاريخية وتحليلية ومقارنة، مطبعة روايال الإسكندرية 1952، ص 155.

تفهم معانيه فهما واضحاً¹. ولكن عندما توسعت حدود الدولة الإسلامية، وانتشر الإسلام في الدول المحيطة بالجزيرة العربية، دخل الناس دين الله كان منهم الفارسي والرومي والهندي والقبطي وغير ذلك من أجناس مختلفة، ظهر اللحن، فقد روي بعض الرواة² أن رجلاً لحن بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال عليه السلام "أرشدوا أخاكم فإنه قد ضل"³.

وإذا كان جمع القرآن وحفظه يمثل الخطوة الأولى للعناية بالقرآن الكريم، فإن علم النحو يمثل الخطوة الثانية في العناية به، والمحافظة على سلامته، بعد أن فشل اللحن، وشاع على الألسنة. فقد روي أنه قدم أعرابي في خلافة عمر بن الخطاب⁴ رضي الله عنه فقال: من يقرئني شيئاً مما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم؟ فأقرأه رجل سورة براءة فقال: إن الله بريء من المشركين ورسوله (بالجر) فقال الأعرابي: أو قد برئ الله من رسوله؟ إن يكن قد برئ من رسوله فأنا أبراً منه، فبلغت عمر رضي الله عنه، فدعاه فقال له: يا أعرابي تبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة، ولا علم لي بالقرآن، فسلت من يقرئني، فأقرأني هذا سورة براءة فقال: إن الله بريء من المشركين ورسوله، فقلت أو قد برئ الله تعالى من رسوله؟ إن يكن الله تعالى قد برئ من رسوله، فأنا أبراً منه، فقال عمر رضي الله عنه ليس هكذا يا أعرابي، فقال: كيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: إن الله بريء من المشركين ورسوله. فقال الأعرابي: وأنا والله أبراً ممن برئ الله ورسوله منهم، فأمر عمر رضي الله عنه أن لا يقرأ القرآن إلا عالم باللغة، وأمر أبا الأسود أن يضع النحو".

ومثل هذا اللحن في قراءة القرآن الكريم يؤدي إلى فساد كبير وشر مستطير⁵ وخير دليل على ذلك ما روي عن أبي بكر⁶ رضي الله عنه قال: لأن أقرأ فأسقط أحب إلي من أن أقرأ فألحن".

وفي رواية للسيرافي⁷ يقول: "إن زياداً بعث إلى أبي الأسود قائلاً: اعمل شيئاً تكون فيه إماماً وتعرب به كتاب الله فاستعفاه من ذلك، حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ: "إن الله بريء من المشركين ورسوله" فقال: ما ظننت أن أمر الناس صار إلى هذا

¹ فتحي الدجني: أبو الأسود الدؤلي، ص 41، وشوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، مصر، ط3، 1976، ص11.

² أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة السعادة، 1954، ص 5.

³ ابن جني، الخصائص، ج 3، ص 8.

⁴ أبو البركات الأبناري: نزهة الألباني في طبقات الأدباء، تح إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن ط3، 1985، ص 20.

⁵ أنظر عبد الله الخثران: مراحل تطور الدرس النحوي، ص 29.

⁶ أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين ص 5.

⁷ السيرافي: أخبار النحويين ص 16/15.

فرجع إلى زياد فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير، فليبلغني كاتبنا لحننا يفعل ما أقول، فأتي بكاتب من عبد القيس، فلم يرضه فأتي بآخر، قال أبو العباس: أحسبه منهم. فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، فإن ضمنت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن ابتحت شيئاً من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين فهذا نقط أبو الأسود". بالنظر في روايات القدماء السابقة، نجد أن العلماء يرجعون نشأة هذا العلم إلى سبب ديني وهو قراءة القرآن قراءة سليمة.

ثانياً: انتشار اللحن:

شاع اللحن عند العرب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن كان بسيطاً فقد روي من لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أنا من قريش ونشأت في بني سعد فأنتى لي اللحن"¹. وفي هذا القول دليل على أن اللحن كان معروفاً بهذا الاسم. ويروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال: "تعلموا النحو كما تعلمون السنن والفرائض"².

وفي عهد عمر رضي الله عنه تخبرنا المصادر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرّ برجلين يرميان فقال أحدهما: أسبت بإبدال الصاد سينا فقال عمر: "سوء اللحن أشد من سوء الرمي"³.

وقد روي⁴ أن كاتباً لأبي موسى الأشعري كتب إلى عمر رضي الله عنه "من أبو موسى؟" فكتب إليه عمر: سلام عليك، أما بعد فاضرب كاتبك سوطاً واحداً، وآخر عطاءه سنة.

ولما جاء العصر الأموي كان اللحن قد اتسع شيوعه على الألسنة، وخاصة بعد تعرّب الشعوب المغلوبة، التي كانت ما تزال تحتفظ ألسنتها بكثير من عاداتها اللغوية، مما سنع المجال للحن وشيوعه⁵. ولم يسلم من اللحن البلغاء والخطباء والأمراء، وصاروا يحذرون من كل الحذر، لأن اللحن من الصفات التي تشين صاحبها وتنزل من قدره في المجتمع⁶. فقد روي عن عبد

¹ السيوطي: المزهري في علوم اللغة ج 2 ص 397.

² الجاحظ: البيان والتبيين، ج 2، ص 219.

³ الأفعاني، سعيد: في أصول النحو، ص 8.

⁴ أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، تحقيق محمد الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط 2، ص 6.

⁵ ضيف شوقي: المدارس النحوية، ط 7، دار المعارف، ص 12.

⁶ الخثران عبد الله: مراحل تطور الدرس النحوي، ص 12.

الملك¹ بن سروان قال حين قيل له: "أسرع إليك الشيب"، قال: "شيبتي ارتقاء المنابر مخافة اللّحن". والحجاج مشهور بفصاحته وبيانه وبلاغته، "فقد زعم رؤية بن الحجاج وأبو عمرو بن العلاء، أنهما لم يريا قرويين أفصح من الحسن والحجاج² ولكن اللحن تسرب إليه وإلى غيره من الخطباء والأمراء، ولعل تسرب اللحن إلى مثل هؤلاء بعدهم عن قومهم في الجزيرة، مع أنهم نشأوا فيها وترعرعوا واكتهلوا، فلما كان من بعدهم عظم انتشار اللحن فيهم حتى أصبح بلاء ومصيبة من أعظم المصائب³. فقد ازداد اللحن وكثر على ألسنة أبنائهم الذين نشأوا في الحاضرة، ولم ينشأوا في البادية مثل آبائهم، فاختلطوا بالأعاجم في الحواضر، وهذا الاختلاط أدخل الضعف على ألسنتهم وفصاحتهم⁴.

ثالثاً: اعتزاز العرب بلغتهم العربية:

أكرم الله تعالى الأمة العربية باختياره رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم. وأكرم هذه الأمة أيضاً باختياره لغة العرب ليكتب بها القرآن الكريم، ليكون الرسالة الأخيرة الكاملة للعالم كله، وبناء على هذا احتلت اللغة العربية مكاناً بارزاً بين اللغات، وأكسبت أمتها مكاناً لا يُنقأ بها⁵. وقد قال الله تعالى مخاطباً محمد صلى الله عليه وسلم أُمته: "كنتم خير أمة أخرجت للناس"⁶.

وهذا جعل العرب يعتزون بلغتهم وبكل ما هو عربي اعتزازاً كبيراً. وهذا أمر طبيعي في عصر كعصر الإسلام. في هذا العصر قد اجتمع فيه خليط من الأجناس، مما جعلهم يحرسون على رسم أوضاع لغتهم خوفاً عليها من الفناء في اللغات الأعجمية⁷.

رابعاً: حاجة الجيل الجديد إلى فهم اللغة:

¹ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج2، ص 158.

² الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص 219.

³ انظر الأفغاني سعيد: في أصول النحو، ص 11.

⁴ انظر ضيف شوقي: المدارس النحوية، ص12.

⁵ انظر الدجني فتحي، أبو الأسود الدؤلي، ص52.

⁶ ال عمران: 110.

⁷ أنظر ضيف شوقي: المدارس النحوية، ص 12.

لقد نشأ جيل جديد دخل في الإسلام، كان يعيش مع العرب، وهو طبقة الموالي، فقد كان عددهم كثيراً في المدن الإسلامية كثرة ظاهرة، غير أن ألسنتهم لم تكن خالصة النطق، بل كانت تشوها لكنة أعجمية¹. ومن هنا كانت الحاجة الشديدة لمن يرسم لهذه الفئات أوضاع العربية في إعرابها وتصريفها، حتى تتمثلها تمثلاً صحيحاً، ويتقن النطق بأساليبها نطقاً صحيحاً.

الخور الثاني: واضعو علم النحو:

اختلفت الروايات حول واضع علم النحو العربي، حيث تتضارب بين رأي يقول أنه ينسب إلى علي رضي الله عنه، ورأي يقول بأن أبو الأسود الدؤلي هو واضعه فنسب وضع علي عليه السلام لهذا العلم ما روي أبو الأسود: قال دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فوجدت في يده رقعة، فقلت: ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: إني تأملت كلام العربي فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء، يعني الأعاجم، فأردت أن أضع شيئاً يرجعون إليه ويعتمدون عليه، ثم ألقى إلى الرقعة وفيها مكتوب: الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ به، والحرف ما أفاد معنى، وقال لي: أنح هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك، واعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة: ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر، وأراد بذلك الاسم المبهم قال: ثم وضعت بابي العطف والنعته، ثم بابي التعجب والاستفهام، إلى أن وصلت إلى باب ان أخواتها ما خلا، فلما عرضتها على علي عليه السلام أمرني بضمي لكنّ إليها، وكنت كلما وضعت باب أبواب النحو عرضته عليه، إلى أن حصلت ما فيه الكفاية، قال: ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوت فلذلك سمي النحو ... وروى أن سبب وضع علي عليه السلام لهذا العلم أنه سمع أعرابياً يقرأ: "لا يأكله إلا الخاطئين" فوضع النحو².

أما من نسبه إلى أبو الأسود الدؤلي فهم كثيرون، قال محمد بن سلام الجمحي (231هـ) لو كان لأهل البصرة في العربية قبله، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية.

¹ أنظر الخثران عبد الله: تطور الدرس النحوي، ص 31.

² الطنطاوي محمد: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، ط2، ص 24، 25.

وكان أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها، ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي، وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل، وكان رجل أهل البصرة، وإنها قال ذلك حين اضطرب كلام العرب فغلبت السليقة، فكان الناس يلحنون فوضع باب الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الجرّ والرفع والنصب والجزم ...¹

ورأي عامة المؤرخين الأوائل يقررون أن أبا الأسود الدؤلي هو أول من وضع النحو العربي.

وفي رواية أخرى أن ابنة أبي الأسود الدؤلي رفعت وجهها إلى السماء وتأملت بهجة النجوم وحسنها، ثم قالت (ما أحسن السماء؟) على صورة الاستفهام فقال لها: يا بنيتي "نجومها" فقالت: إنها أردت التحجب فقال: قولي: (ما أحسن السماء) وافتحي فاك².

وفي رواية أخرى: أن ابنة أبي الأسود الدؤلي قالت: "ما أشد الحر؟" فأجابها: إذا كانت الصقعاء (الشمس) من فوقك، والرمضاء من تحتك، قالت: إنما أردت "أن الحر شديد" قال فقولي إذا: "ما أشد الحر؟" فعمل باب التعجب، وباب الفاعل والمفعول به، وغيرها من الأبواب³.

فهنا يمكن القول بأن أبي الأسود الدؤلي اجتهد وواصل نهج علي بن أبي طالب في وضع العلم الذي يصون ويحفظ اللغة العربية.

المحور الثالث أهمية النحو:

قال ياقوت الحموي (ت 626 هـ): وحسبك شرف هذا العلم، أن كل علم على الإطلاق مفتقر معرفته، محتاج إلى استعماله في محاورته وصاحبه مفتقر إلى غيره، وغير محتاج إلى الاعتماد على سواه⁴.

¹ ابن سلام الجمحي، طبقات دخول الشعراء، تح محمود محمد شاكر، دار المدني جدة، ط 1980، ج 1، ص 12.

² إميل يعقوب، قضايا النحو واللغة، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط 1، 2009، ص 12

³ نفسه، ص 12.

⁴ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تحقيق احسان عباس، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1443 ج 1، ص 10.

وقال ابن خلدون مؤكداً أهمية النحو ... إن الأهم المقدم منها هو النحو، إذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجُهل أصل الفائدة ... فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة، إذ في جهله الإخلال بالمفاهيم جملة¹.

لأن الكاتب إذا كان عارفاً بالمعاني مختاراً لها، قادراً على الألفاظ مجدداً فيها، ولم يكن عارفاً بعلم النحو، فإنه يفسد ما يصوغه من الكلام ويختل عليه ما يقصده من المعاني².

كما أن النحو يعد آلة الفهم فلولاه لجُهل المعنى المقصود وقد نقل الجرجاني قولهم: النحو في الكلام كالملاح في الطعام، إذ المعنى أن الكلام لا يستقيم ولا تحصل منه فائدة التي هي الدلالات على المقاصد إلا بمراعاة أحكام النحو فيه من الإعراب والترتيب الخاص، كما لا يجدي الطعام ولا تحصل الفائدة المطلوبة منه وهي التغذية ما لم يصلح بالملاح³.

والأنباري يقول: أن الأئمة من السلف والخلف أجمعوا قاطبة على أنه شرط في رتبة الاجتهاد وإن المجتهد لو جمع كل العلوم لم يبلغ رتبة الاجتهاد حتى يعلم من قواعد النحو ما يعرف به المعاني المتعلقة معرفتها به منه، ولو لم تبين ذلك علماً معتبراً في الشرع وإلا لما كانت رتبة الاجتهاد متوقفة عليه لا تتم إلا به⁴. وابن حزم يشير إلى أن الغرض من نشأة النحو في الأصل كان رفع الإشكال عن العلوم المختلفة، وهو ما يوضح علاقة علم النحو بالعلوم الأخرى، خاصة علوم الشريعة، حيث يقول: لما فشا جهل الناس باختلاف الحركات التي باختلافها اختلفت المعاني في اللغة العربية، ووضع العلماء كتب النحو، فرفعوا إشكالا عظيماً، وكان ذلك معينا على الفهم لكلام الله عز وجل، وكلام بذي، وكان من جهل ذلك ناقص الفهم عن ربه تعالى، فكان هذا من فعل العلماء حسناً وموجباً لهم أجراً⁵. ابن حزم يشير هنا إلى مكانة النحو فضله على جميع العلوم خاصة الشرعية منها، وهذا هو الغرض الذي وضع من أجله النحو.

¹ أنطوان صباح: تعليمية اللغة العربية، دار النهضة العربية، 2008، ط2، ج1، ص 117.

² ابن أثير: المثل السائر، تقديم أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار النهضة، مصر، القاهرة، ج1، ص 44.

³ الجرجاني عبد القاهر: أسرار البلاغة، تح عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، 2001، 12، ص 58.

⁴ الأنباري: لمع الأدلة، تحقيق سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، 1957، ص 95.

⁵ ابن حزم الأندلسي: رسائل ابن حزم، تحقيق احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1987، ط2، ج4، ص 95/94.

ويعتبر ابن يتمية هذا العلم واجب في قوله: "أن اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب وإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا باللغة العربية وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب¹."

ومن هنا فإن للنحو أهمية بالغة، فهو يبين الكلام الفاسد من الصحيح، وبه يقرأ القرآن بطريقة سليمة دون تحريف، فمن لا يعرف النحو إذن لا يتلذذ ويتمتع بحلاوة بديع الكلام، فالنحو سبيل للتكلم بكلام العرب على حقيقته من غير تبديل، وبه تتبين المقاصد وتحصل الفوائد، فالأغراض كاملة في الألفاظ والنحو مستخرجها.

الخاتمة

من خلال ما سبق نلخص إلى ما يلي:

- مفهوم النحو في اللغة يراد به القصد.
- مفهوم النحو في الاصطلاح دراسة تركيبية لغوية، تعنى بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب ووضع القوانين التي تمثل النظام اللغوي.
- النحو أول علوم العربية نشأة، وضع ليعرف به صواب الكلام من خطأه وصحيحه من سقيمه.
- النحو علم من العلوم التصويبية يقوم على دراسة بجانب من مجالات النشاط اللغوي وهو الجملة.
- النحو ضابط اللغة العربية وميزانها، وبه يتم تبين المعايير وتوضيحها وإزالة الغموض عنها.
- اختلف العلماء في واضح النحو بين رأي ينسبه لعلي وآخر ينسبه لأبي الأسود الدؤلي.
- النحو عماد العلوم العربية فلا فقه ولا حديث ولا علم كلام بدونه.

¹ علي سامي الحلاق: المرجع في تدريس مهارات اللغة العربية وعلومها، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان، 2010، ص 6.